محمد مندور

عزيز علينا ان نذكر الاستاذ الدكتور « محمد مندور » ، لا لنقدمه الى قراء الادب والنقد ، ولكن لننعاه اليهم في حسرة وتفجع .

فقدناه في الشهر الماضي ، أكثر ما كنا رجاء فيه ، وحفاوة به ، فقد دعوناه الى المشاركة في هذا العدد من مجلة « القصة » ، عدد الطلائع ، ليمدها ما تيسر له قراءته من القصص ، ترحيبا واستجابة ، وكان الأمل ان يكون ذلك فاتحة لاتصال أوثق ، ومشاركة أمد مدى .

ولكن للأقدار سخرية بما يفكر فيه المفكرون ، وما يريدون ... وكان من سخريتها بنا ، أن تحملنا صاغرين على أن نكتب اليوم هذه السطور في تحية الراحل المأسوف عليه ، نقدم بها نقده الذي كتبه الى المجلة ، آخر ما كتب اليها أو بالأحرى أوله وآخره معا .

منذ ربع قرن او يزيد ، ظهر في الناس كتاب اسمه « نماذج بشرية » لكاتبه « محمد مندور » ، وأشهد اني لم أكد أمضي في قراءة بعض فصوله حتى تبين لي أني بازاء كتاب فذ لكاتب فذ ، وأنه قد ولد في المرسة مؤلف في النقد ليس لها بمثله عهد . فهو في منهجه وفي مضمونه وفي صياغته يدل على بصر بالفكر الحديث في أرقى مستوياته ، ووقوف على روائع الأدب عامة والأدب القصصي خاصة ، ومهارة فائقة في التركيز والاستخلاص والتوجيه .

ويومئذ أيقنت بأن سيكون هذا الكتاب بمثابة تربية نقدية لناشئة الادب وشداته وتذكرة نافعة للأدباء الرواد وطلائع النقاد .

وعرفت أن الدكتور « محمد مندور » تلقى ثقافته الادبية الرفيعة من أصفى الينابيع في الغرب ، وأهل نفسه هنالك بدراسات عميقة في ألوان من العلوم الانسانية والمعارف المكونة ، ورجع الى وطنه استاذا جامعيا يبني أجيالا صاعدة على أسس وطيدة ... وما لبثنا أن رأيناه يترك مقعده من الجامعة ، وكأنه ضاق به ، ويخرج الى الآفاق الفساح ، يكتب في الصحف اليومية تعليقا على شئون الحياة وشواغل المجتمع ، ويتناول في المجلات الدورية موضوعات حول النقد الأدبي متنوعة ، ويحاضر في المعاهد الفنية وغير الفنية ، ويلقي أحاديثه في الاذاعة مرئية ومسموعة ، ويسهم في ندواتها بالرأي والمناقشة ، وهو فيما بين ذلك كله يؤلف أو يترجم ماضي العزم ، ناشط العلم .

ولعل أكبر ما يميز الدكتور مندور أنه جرى في النقد أول ما جرى على ما درس من مناهج وأصول اتباعية مقررة ، بيد أنه لم يتعصب لها ، ولم يقف عندها ، بل ساير الجديد في عالم الفكر ، وتابع التطور في مذاهب الأدب ، ولم يضرب صفحا عن المستحدث من أساليب النقد ، واذا هو يتمثله ويزنه أدق وزن ، ويخرج منه ناقدا أصيلا ، بعيد أفق النظر ، مصقول الذوق ، عدل التقدير ، مكتسبا من السماحة والمرونة ما يعصمه من التعسف ، وينأى به عن الجمود .

واذا كان الدكتور « محمد مندور » قد ودعنا اليوم ذلك الوداع المحتوم ، فقد خلف لنا بآثاره نموذجا من النماذج الانسانية الممتازة ... نموذج أديب ناقد ، آمن برسالته ، فأداها في أمانة ، وذهب راضيا مرضيا ، عليه صلوات من الله ورحمة .

محمود تيمور